صاحب القنديل

الإمام عبد الله بن محمد القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

١٣١٥- ١٣٨٩ هـ

تأليف

أبو عبد الإله / بندر فهد الايداء

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ/٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

وأحب تعميم التعليم، وكنت أتقلّب في الجهات أنا وتلاميذي، من جنوب تهامة جازان إلى شماليّها، ومن غربيّها إلى شرقيّها، كل ذلك أطلب الرفق، والهدوء، ونشر العلم، والإصلاح، والدعوة، أبتغي بذلك وجه الله، وأنا رجل مستعد بأيّ خدمة فيها مصلحة عامة بأيّ جهة كانت

الإمام عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

يـا ظـلَّ أجـنـحـةِ الـمـلائـكِ هـا هنا
شـيـخٌ تـألَّـق في الـعـلـوم وأحـسـنَـا
منحتْه صـامـطـةُ الـمـحـبَّـةَ والـرِّضـا
فَـبَـنَـى لـهـا صَـرح الـوَفـاءِ ومـكَّـنَـا
فـرحـتْ بـه جـازانُ فَـرْحَـةَ مَـنْ رأى
في الـلـيـلـةِ الـظَّـلْـمـاءِ بـارقـةَ الـسَّـنَـا
بـالـعـلـمِ أقـبـلَ كـالـربـيـعِ إذا أتـى
بالخصبِ حتى طابَ في الرَّوض الجَنَى
لـو صـــوَّرتْ جـــازانُ قَـرعـاوِيَّـهـا
لـرأيـتَ أحـسـنَ مـا تَـــراه وأَيْـمَـنَـا
رجـلٌ بنى للعلمِ صَـرْحـًا شامخًا
للهِ صـرحُ الـمـكْـرُمـاتِ وَمَـــنْ بَنَى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين ...

أما بعد :

فهذا الكتاب أصله محاضرة ألقيتها عن سيرة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعنوان **(صاحب القنديل)** من إنتاج مؤسسة زاد وتوزيع تسجيلات التقوى، وهو تهذيب للكتاب الأصل **(المسيرة لداعية جنوب الجزيرة)** الإمام عبد الله بن محمد القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ،حياته ودعوته وقصص ومخطوطات تنشر لأول مرة طبع دارالمنهاج بالرياض، وهو خلاصة لقاءات من بقي من طلابه، وجردٌ لأكثر من ألف مخطوطة من رسائله، وتركتُ كثيراً من القصص والأخبار والحواشي لأنها مرقومة في الأصل، وسيرة هذا الإمام تحيي النفوس، وتشحذ الهمم، ولا زلت أذكر رسالة أحدهم إليَّ بعد أن قرأ الكتاب قال: لقد غيّرت سيرة الشيخ مجرى حياتي!

بل ولكم أن تتخيلوا أنّي حين التقيت بالشيخ عبد الرحمن السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال لي: إن الذي أعاد إليّ الثقة بنفسي لأكمل مشوار الدعوة في إفريقيا هو الشيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وإني لأرجو أن تكون جهود الشيخ عبد الرحمن السميط في صحيفته فإن الدال على الخير كفاعله، ثم إنّي عزمتُ على كتابة سيرة الشيخ عبد الرحمن السميط كرواية قصصية واتفقتُ معه، وأخذت موعداً لزيارته في الكويت، ثم اعتذرمنّي لسفره إلى عُمَان ثم بعد ذلك انشغلت بالسفر للخارج لدراسة الماجستير والدكتوراة، وتصرّمت الأيام حتى جاءني خبر وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ

ويا ليتني فعلت، لكن وماذا تفيد الأماني وقد فات المطلوب! أوّاه .

ما حسرتي أنْ كدتُ أقضي إنّما حسراتُ نفسي أنَّني لم أفعلِ

اللهم تقبل منِّي هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم واجعله لي ذخرا يوم ألقاك. آمين

كتبه

أبو عبد الإله / بندر بن فهد الايداء

المملكة المتحدة _ اسكتلندا

٢٨ / ١١ / ١٤٤١هـ

@BandrALAyda

Email: B.F.ALayda@outlook.com

❊❊❊

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي أقام في أزمنة الفترات من يكون ببيان سنن المرسلين كفيلا، واختص هذه الأمة بأنه لا تزال فيها طائفة على الحق لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمره، ولو اجتمع الثقلان على حربهم قبيلا، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، ويحيون بكتابه الموتى؛ فهم أحسن الناس هديـًا، وأقومهم قيلا، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، ومن ضال جاهل لا يعلم طريق رُشْدِه قد هدوه، ومن مبتدع في دين الله بشهب الحق قد رموه، جهاداً في الله، وابتغاء مرضاته، وبيانـًا لحججه على العالمين وبيناته.

أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله عمل جليل، وهمٌّ نبيل تولاها سبحانه بنفسه، فهو الذي يدعو عباده إلى الجنة، ويهديهم الطريق الموصلة إليها فضلا منه ومنّة قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾[1] واختار الله لها صفوة خلقه، وكلفهم بإبلاغها إلى أممهم ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ

(١) [سورة يونس: آية ٢٥].

﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[1].

وقال عن رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾[2] ورسم له منهج الدعوة، وأسلوب البلاغ فقال ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾[3] وقوله ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾[4] ومدح الله القائمين بها، وأثنى عليهم فقال ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾[5] وهذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحدٌ أحسن قولاً وطريقة وحالة ممن دعا إلى الله بتعليم الجاهلين ووعظ الغافلين.

وبيّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أن الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل النجاة، وعنوان السعادة، وأن بتركها تغرق السفينة يقول بأبي هو وأمي: «مَثَلُ القائمِ على حُدُودِ اللَّهِ والواقعِ فيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا على سَفِينَةٍ، فأصابَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وبَعْضُهُمْ أسْفَلَها، فَكانَ الَّذِينَ في أسْفَلِها إذا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا على مَن فَوْقَهُمْ، فقالوا: لو أنَّا خَرَقْنا في نَصِيبِنا خَرْقًا ولَمْ نُؤْذِ مَن فَوْقَنا، فإنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أرادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وإنْ أخَذُوا على أيْدِيهِمْ نَجَوْا، ونَجَوْا جَمِيعًا»[6].

---

(١) [سورة النحل: آية ٣٦].
(٢) [سورة الأحزاب: الآيات ٤٥- ٤٦].
(٣) [سورة النحل: آية ١٢٥].
(٤) [سورة يوسف: آية ١٠٨].
(٥) [سورة فصلت: آية ٣٣].
(٦) رواه البخاري (٢٤٩٣).

وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «بَايَعْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علَى إقَامِ الصَّلَاةِ، وإيتَاءِ الزَّكَاةِ، والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»(١). فأمر الدعوة من أجل المهمات، وأعظم المقاصد، وبه الشرف العظيم، قال تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(٢) والدعوة إلى الله نفع متعد وأجر باق؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَن دَعا إلى هُدًى، كانَ له مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن أُجُورِهِمْ شيئًا، ومَن دَعا إلى ضَلالَةٍ، كانَ عليه مِنَ الإثْمِ مِثْلُ آثامِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن آثامِهِمْ شيئًا»(٣).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه، أم كان مسبوقًا إليه، وسواء كان ذلك تعليم علم، أو عبادة أو أدب، أو غير ذلك(٤).

وعن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فضلُ العالم على العابدِ كفضلي على أدناكم ثمَّ قالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّ اللَّهَ وملائكتَهُ وأهلَ السَّماواتِ والأرضِ حتَّى النَّملةَ في جُحرِها وحتَّى الحوتَ ليصلُّونَ على معلِّمِ النَّاسِ الخيرَ»(٥).

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نضَّرَ اللَّهُ امرأً سمِعَ منَّا شيئًا فبلَّغَهُ كما سمعَ»(٦).

---

(١) متفق عليه.
(٢) [سورة آل عمران: آية ١١٠].
(٣) رواه مسلم (٢٦٧٤).
(٤) (شرح مسلم للنووي ١٦/ ٢٢٧).
(٥) صحيح الترمذي (٢٦٨٥).
(٦) رواه الترمذي (٢٦٥٧) وأبو دواد(٣٦٦٠) وصححه الألباني.

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له»(١).

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَبعٌ يجري للعبد أجرهُنَّ، وهوَ في قبرِه بعدَ موتِه: من عَلَّم عِلمًا، أو أجرى نهراً، أو حفَر بئراً، أو غرسَ نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورَّث مُصحفًا، أو تركَ ولداً يستغفرُ لهُ بعدَ موتِه»(٢).

فمقام الداعية في أعلى المقامات، ومحله في أعالي الدرجات، فالغنيمة عظيمة، والعاقبة حميدة لمن صدق مع الله ودعا إليه على بصيرة ... وعند الشيخين من حديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بكَ رَجُلًا واحِدًا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ»(٣) فكيف بمن هدى الله به أمة من الناس؟! وكان مناراً للهدى والعلم، وبقيت آثاره وسيرته مشعلاً وضياءً عبر القرون، فكلما مر اسمه يدعى له ويترحم عليه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾(٤).

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ... ففي صالح الأعمال نفسك فاجعل

فالدعوة إلى الله درجة الصديقية والربانية، ووراثة النبوة وخلافة الرسالة، هي أفضل درجات الأمة، فيا لها من مرتبة ما أعلاها! ومنقبة ما أجلها وأسناها!

---

(١) رواه مسلم (١٦٣١).

(٢) رواه البزار (٧٢٨٩) وأبو نعيم (١/ ٣٦٦) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٣).

(٣) رواه البخاري (٢٩٤٢) ومسلم (٢٤٠٦).

(٤) [سورة فصلت: آية ٣٥].

أن يكون المرء في حياته مشغولاً ببعض أشغاله، أو في قبره قد صار أشلاء متمزقة، وأوصالاً متفرقة، وصحف حسناته متزايدة، تملى فيها الحسنات كل وقت، وأعمال الخير مهداة إليه من حيث لا يحتسب، تلك والله المكارم والغنائم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون[1].

ومن الذين جعلوا من حياتهم همـًا واحداً، وغاية نبيلة في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، فكانت حياته علمـًا وعملاً وتعليما وتجديداً لدين الله بعد أن درست معالمه وزالت مظاهره، وأحيا الله به السنن التي أماتها الجهل والضلال، وقامت بدعوته منارات التوحيد وحلق العلم، فكان غيثـًا جاء للناس في سنيّ جدب فشربوا وسقوا وزرعوا، هو الإمام المجدد عبد الله بن محمد القرعاوي من قبيلة عنزة، الذي كان أمة في رجل، وكتيبة للدعاة جمعت في جسد واحد :

والـنـاس ألـف منـهـم كـواحـد ... وواحـد كـالألـف إن أمـر عنا

إنه صاحب القنديل، كان مباركـًا أينما كان، في كلِّ مكان وزمان،حيثما حلَّ وارتحل، كالريحانة يعبق بشذاه كل من يهواه، فإذا طُلِبَ وجِد، وإن غاب فُقِد، أخذ بحجز الناس حتى لا يقعوا كالفراش في أتون الفتن، ومزالق الانحراف، ووقف كالجبل الشامخ، والسدِّ الراسخ في وجه الضلال والبدع!

عاش لغيره، ونسي نفسه، فعاش للناس يرعاهم ويعتني بهم، يتلمس عثراتهم فيصلحها، وحاجاتهم فيقضيها، شاركهم أفراحهم وأتراحهم، أنسهم وبأسهم، ألمهم وأملهم، فهو معهم ومنهم ولهم، يتحنن الضعفة والمساكين، قال

(١) (طريق الهجرتين ٢/ ٧٨٦).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ابغوني ضُعَفاءَكم، فإنَّما تُرزَقونَ وتُنصَرونَ بِضُعَفائِكم»[(١)].

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا سمع ببشير السعادة يهتف، أقبل كالأمل، يبارك ويشارك، له مع البطون الجائعة، والأحشاء الخاوية، والأجساد العارية، والأبدان السقيمة صولات وجولات، وهبات وأعطيات، همة عالية، وعزيمة ماضية، فهو لا يرضى بالدون، ولا يقبل أن يكون في ذيل القافلة!

الشيخ عبد الله رجل الدعوة بالحكمة واللطف، من الرعيل الأول نحسبه، ورجل العامة، ينزل إلى الناس في أنديتهم، ويغشاهم في تجمعاتهم يبلغ دين الله لا يبالي بما يعترض طريقه من الأهوال والمهالك ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾[(٢)].

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «المُؤمِنُ الذي يُخالِطُ الناسَ، ويَصبِرُ على أذاهم أفضَلُ من المُؤمِنِ الذي لا يُخالِطُ الناسَ، ولا يَصبِرُ على أذاهم»[(٣)].

توالت رحلاته التجارية والعلمية فزار مصر والشام والعراق وتركيا ودول الخليج وبلاد الهند، ثم قضى بقية حياته مسافراً لنشر ما تعلمه، ومحققاً لأصول الدعوة في هداية الخلق ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾[(٤)].

---

(١) رواه الترمذي (١٧٠٢) وأبو داود (٢٥٩٤) وصححه الألباني.

(٢) [سورة لقمان: آية ١٧].

(٣) رواه الترمذي (٢٥٠٧) وابن ماجه (٤٠٣٢) وصححه الألباني.

(٤) [سورة السجدة: آية ٢٤].

قضى رَحِمَهُ ٱللَّهُ قرابة الثلاثين عاماً في الدعوة والتعليم في بيئة جاءها وهي مليئة بالشرك والخرافة، فاجتث الأضرحة، ونشر التوحيد، يجوب قرى الجنوب على حماره يمحو الأمية وينشر الهداية، يعيش همَّ الدعوة إلى الله في كلِّ حال، ويحرص على الأجور المتعدية، فالعمر عنده وقفٌ لله تعالى، والدعوة لا تعيش على فضول الأوقات، جاء على فترة من الإصلاح، فأعانه مولاه؛ وبقيت آثار دعوته إلى يومنا هذا كشجرة طيبة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾[1].

فظل يدعو كهطل المزن في وضح ... وتربة الأرض قد غنت من العجب
عشرون عاماً وصوت الحق مرتفع ... بدعوة الخير والإيمان والقرب
وعشرة بعدها بالبر حافلة ... تلك الثلاثون أمضاها لذي أرب

إني أتسائل؛ كيف يكون حال الأمة اليوم لو وجد فيها من أمثال هذا الرجل وهمته في إصلاح الناس؟! إني حين أقرأ في سيرته، وعن صبره، ورحلاته الدعوية، وكيف عاش غريباً! فأصّل التوحيد، وشيّد المدارس، وبنى المساجد رغم محاولات القتل والتشويه والإرجاف، أتعجب أي صنف من الرجال كان؟! وأي روح ضمها بين جنبيه؟! وأي صبر أفرغ عليه؟!

وإن لله أقواماً ما رضوا من الفضائل إلاَّ بتحصيل جميعها، فهم يبالغون في كل علم، ويجتهدون في كل عمل ويثابرون على كل فضيلة، فإن ضعفت أبدانهم عن بعض ذلك قامت النيات نائبة، وهم لها سابقون، نحسبه والله حسيبه ولانزكي على الله أحداً .

(١) [سورة إبراهيم: آية ٢٤].

بلغت مدارسه التي أسسها تقريباً ٢٨٠٠ مدرسة موزعة في شتى المناطق الجنوبية في السهول وفي الجبال، وفي كل مكان يقطنه الناس، منها ستاً وثمانين مدرسة باليمن، وتخرج في مدارسه سبعون ألف طالب وعلم، وخمس عشرة ألف طالبة علم.

فجرين جريَ الشمس في أفلاكها ... فقطعن مغربها وجزن المطلعا

وحفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الآبار، وبنى من المساجد في تلك الجهات ما لا يعلم عدَّه إلا الله، فعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من حَفَرَ بئرَ ماءٍ لم يشرب منه كَبِدٌ حرّى من جِنٍ، ولا إنسٍ، ولا طائرٍ إلا آجره اللهُ يوم القيامةِ**»(١).

عن عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن بنى مسجداً للهِ بنى اللهُ لهُ بيتًا في الجنة**»(٢).

يخفي صنائعه والله يظهرها ... إن الجميل إذا أخفيته ظهرا

وإن من الوفاء والبر لهذا الإمام أن نتدارس صفحات من حياته، لنتعلم كيف تشحذ الهمم، ويسمو الطموح، وتنبل الأهداف، ولتكون سيرته مشكاة أمل، ومصباح عمل، فهاك رحلة ماتعة، وصفحات رائعة من حياة هذا الإمام، التي بقيت سيرته أطلالاً راسخة، وأحداثاً محفورة بالأذهان، وحكايات نرويها للجيل القادم، وعناقيد ضياء، معلقة في سماء المجد، تضيء للسائرين دروبهم وللدعاة منهجهم.

ومن الرزية أن شكري صامت ... عما فعلت وأن برك ناطق

وأخف ما جشم امرؤ وسعى له ... يومًا لذي النعمى الثناء الصادق

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب للألباني (٢٧١).

(٢) رواه البخاري (٤٥٠) ومسلم (٥٣٣).

مولده ونشأته

ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحادي عشر من شهر ذي الحجة عام ١٣١٥ هـ في عنيزة، وهي السنة التي توفي فيها أبوه وجده، فعاش رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتيماً منذ أن أبصر النور، وتربى في كنف أمه، وتحت رعاية عمه عبد العزيز بن حمد القرعاوي الذي كان من وجهاء عنيزة. وسموا بالقرعاوي نسبة إلى قرية يقال لها القرعاء قطنها أجدادهم، نشأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيت علم ودين، وتربى في مدرسة أمه التي أحسنت تربيته وتعليمه[1].

ولم أر للخلائق من محل ... يهذبها كحضن الأمهات
فحضن الأم مدرسة تسامت ... بتربية البنين أو البنات
وأخلاق الوليد تقاس حسنًا ... بأخلاق النساء الوالدات
وليس ربيب عالية المزايا ... كمثل ربيب سافلة الصفات
وليس النبت ينبت في جنان ... كمثل النبت ينبت في الفلاة

ألحقته أمه مع أخته بالكتاتيب؛ فتعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن وعمره لا يتجاوز الثالثة عشرة، وكان ذلك في أوائل سنة ١٣٢٨هـ، وقرأ القرآن على الشيخ سليمان بن دامغ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم ألحقته بحلق العلم التي كان يعقدها العلماء بمساجد عنيزة .

ونفس لم تذق طعم الدنايا ... ولا لذّت من الدنيا طعاما
غذاها الدين مذ كانت فشبّت ... على التقوى رضاعًا وانفطاما
ونشّاها على كرم وأيد ... وصاغ من الجلال لها قواما

(١) الرسالة القرعاوية ص ١٨٧.

وكانت هذه الأم الصالحة وفيّة لزوجها بارة به بعد وفاته؛ حيث باعت أثاث بيتها، واشتغلت بالتجارة، وقامت بسداد بعض ديونه وحضّت ابنها على السفر مع أعمامه إلى الشام ليقضي ما تبقى من ديون والده .

يقول الشيخ عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إحدى مخطوطاته: وكانت نشأتي في بيت أمي بنت علي بن عثمان بن نجيد القرعاوي، وأدخلتني المدرسة، فالمعلم يعلمني بالمدرسة، وهي تعلمني بالبيت لأنها قارئة حافظة للقرآن، وتختم بالشهر مرتين، ومداومة على صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وعلى الستة من شوال، وعشر من ذي الحجة، وتحرص على التراويح والقيام مع جماعة المسجد، وتستمع خطبة الجمعة والقراءة بين العشاءين والعصر، كل ذلك بالجامع، وكان عندها صنعه تسد حاجتها، ولما بلغت الرابعة عشرة من عمري قالت لي: يا بنيّ إن أباك عليه دينٌ كثيرٌ وقد بعت أثاث البيت، واشتغلت به، وسأوفي بعض دينه، وأما الباقي فاستعن بالله، وسافر مع أعمامك، ولا تأتني تومي بيديك . آهـ

حين تمعن النظر، وتسبر السير تجد غالبًا أن قصص العظماء وتميّزهم تبدأ من الأم، فمن أخرج سفيان الثوري وأحمد بن حنبل والبخاري والشافعي وغيرهم من أساطين العلم والجهاد إلا مدرسة الأم، ولا ندري أنعجب من الأم التي ربّت؟! أم من العظماء الذين تخرجوا على يديها؟! أم من أمهات عصرنا اللاتي تخلين عن دورهن، وضيعن أمانتهن وتركن الثغور بلا حراسة والأبواب بلا أقفال!

أمـور يضحك السفهاء منها ... ويبكي من عواقبها اللبيب

❋❋❋

صفاته وأخلاقه

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ربعة بين الرجال، عريض المنكبين، قوي البِنية، أصفر اللون، مستطيل الوجه، أقنى الأنف، كث اللحية، خفيف العارضين، ناتئ الجبهة، ضيق العينين، ولم يكن حاد البصر لرمد أصابه، أحدث في عينيه بياضاً، وكان جهوري الصوت، وقوراً، مهيباً، دؤوباً على عمله، حاملاً هم العلم والرحلة إليه وتبليغه، لا يغضب إلا إذا تعطل سير الدعوة، يتمتع بمكانة سامقة بين طلابه وذويه، حاضر البديهة، بعيد النظر:

بصير بأعقاب الأمور إذا التوت كأن له في اليوم عيناً على غد

❊❊❊

رحلاته التجارية

كانت أوّل رحلة تجارية قام بها عام ١٣٢٩هـ وله من العمر أربعة عشر ربيعاً برفقة عمه عبد العزيز القرعاوي إلى بلاد الشام، وكانت رحلته الثانية على نطاق أوسع إلى بلاد الشام وفلسطين ومصر والعراق بصحبة عمه أيضا عام ١٣٣٠هـ، وكان يقوم برعي الإبل والاتجار بالأقمشة في رحلاته بين تلك الدول ثم عاد إلى عنيزة عام ١٣٤٠هـ.

واصل بعد ذلك تجارته ورحلاته حتى عام ١٣٤٢هـ وحجّ في هذه السنة، وبعدها رحل إلى مدينة الجبيل متاجر بالإبل وفي سفرته هذه أصيب برمد في عينيه فاتجه إلى البحرين للعلاج، ومكث بها ستة أشهر، وكان قرابة ما أمضاه في رحلاته التجارية اثني عشرة عاماً كان لها الأثر الكبير في حياته من حيث الخبرة والحكمة في التعامل مع الناس على أخلاطهم، ولم تخل رحلاته من الفوائد العلمية ولقاء العلماء، ولم تزل التجارة وحاجتها الماسة تلازم الشيخ فقد قرأت في إحدى مخطوطاته أن الحاجة تضطره أحيانا لوقف التدريس كي يوفر الحاجات الأساسية لمنزله وأسرته فقد عمل إلى جانب تجارته تلك فلاحاً بمزرعة الفيضة وذلك قبل تفرغه لطلب العلم

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه ... شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى ... تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

❋❋❋

رحلاته العلمية

الرحلة في طلب العلم الشرعي من أجل الأمور إن صحت النية، فإنها مكانة ومنزلة تتقاصر دونها الهمم، وبينها وبين الخالفين مفاوز، لكن أصحاب النفوس العالية، تسير قوافلهم إلى الغايات النبيلة، تحدوهم الأشواق إلى بلاد لم يكونوا بالغيها إلا بشق الأنفس؛ ليستعذبوا فيها كل شديد، ويطلبوا منها كل جديد فالمقصد واحد وإن تفرقت السبل .

نعم .. أسعى إليك على جفوني ولو بعدت لمسراك الطريق

فلا تعجب إن فقدوا المهج، وتغربوا عن الأوطان، فإن سلعة الله غالية، والنعيم لا يدرك بالنعيم .

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال إلا على جسر من التعب

الرحلة الأولى للهند عام ١٣٤٥ هـ:

توجه الشيخ إلى الهند فوصل مدينة بومباي، ثم دهلي حيث مقر المدرسة الرحمانية وهي مدرسة سلفية تعنى بالكتاب والسنة، يشرف عليها العالم المسند أحمد الله بن أمير القرشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فجد واجتهد في تحصيل العلوم الشرعية، حتى جاءته رسالة من موطنه هزت كيانه وألهبت مشاعره !!

مرضت أم الشيخ مرضاً شديداً؛ فأرسلت إليه تأمره بأن يأتي إليها، فاستأذن مشايخه وسافر، فلما وصل عنيزة كانت المفاجأة الأليمة!! توفيت أمه ودفنت قبل وصوله بثمانية أيام !

خيالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فأين تغيب

بقي الشيخ في عنيزة حتى عام ١٣٤٧هـ ففتح كتّاباً يدرس فيه احتساباً في جميع الفنون، والتف حوله لفيف من التلاميذ، منهم العلامة الشيخ عبد الله بن عقيل، والشيخ عبد الله آل بسام ، إضافة لجهوده التعليمية، جهوده الميدانية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الرحلة الثانية للهند عام ١٣٥٥هـ :

قصد الشيخ مدرسته الرحمانية في دهلي، ووصل إليها، وبدأ الشيخ سيرته الأولى في الجد، في التحصيل، ولم يقتصر على دروس المدرسة بل بحث عن العلماء الراسخين في تلك البلاد، حتى منح الإجازة العالمية في الأمّات الست وغيرها من كتب الأصول وكان ذلك عام ١٣٥٧هـ .

ولما كان التوحيد رأس العلم وأسّ الدعوة كان الشيخ متقناً له عرضاً وتقريراً، وأكثر من قراءة كتبه ومتونه على كبار العلماء في نجد . ومجموع ما قضى في الهند سنة وعشرة أشهر، ولاقى رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رحلاته العلمية من التعب الكثير ومشى على قدميه الأميال الطوال حرصا على العلم وأهله .

ذروني والفلاة بلا دليل ... ووجهي والهجير بلا لثام
فإني أستريح بذى وهذا ... وأتعب بالإناخة والمقام

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وبين سفري للهند لطلب العلم، وسفري الثاني لطلب العلم أيضاً عشر سنين، طلبت العلم في نجد على الشيخ محمد بن إبراهيم، وعلى الشيخ عبد الله بن سليم، والشيخ عمر بن سليم، والشيخ عبد الله بن مانع، والشيخ عبد العزيز بن بشر، والشيخ محمد بن مانع بقطر . آهـ

كان رجوعه من الهند في الثاني والعشرين من شهر رمضان ١٣٥٧هـ لازم بعدها شيخه محمد بن ابراهيم يقرأ عليه وحج معه في نفس العام، وكان يحضر مجلس شيخه نخبة من أهل العلم من نجد، وغيرهم فيلتقي بهم الشيخ عبد الله فيناقشون أحوال المجتمع، وسُبُلَ النهضة به وتعليمه، ومن ذلك مجتمع المنطقة الجنوبية الذي انتشر به الشرك والجهل، فكانت تلك المجالس الشرارة الأولى لنهضة الشيخ الإصلاحية .

وحدثني الشيخ محمد سراج رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو أحد طلابه، يقول: وصل الشيخ عبد الله إلى الجنوب وأنا بعيني أرى القبور قد بني عليها، واندرست معالم التوحيد والناس تحج إلى الأضرحة، وتهدي إليها القرابين، فقام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأمر الدعوة والتعليم، حتى هُدّت قواعد الشرك والخرافة .

❊❊❊

دكّان الدعوة السلفية

كان الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبعث الدعاة من طلبة العلم إلى الجهات الجنوبية من المملكة، بداية من عام ١٣٥٢هـ، فبدأ الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يفكر في الدعوة إلى الله تعالى في تلك الجهات، حتى قوّى عزمه، ما رآه في ليلة، وهو نائم في سكن الطلاب في حي دخنه بالرياض، حيث رأى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامه، على هيئته، وصفته، وهو يشير إليه بيده الشريفة، أن يتجه إلى الجنوب، فلما أصبح، وصلى الفجر مع شيخه محمد، أخبره بما رأى، فاستبشر وقال له: إنها رؤيا حق.

ما بات إلا على هم ولا اغتمضت عيناه إلا على عزم وإزماع

وفي آخر ذي القعدة من عام ١٣٥٧هـ توجه الشيخ إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج . بعد ذلك، استقر في مكة معتكفاً في مكتبة الحرم ومنهمكاً في القراءة وتحرير المسائل، متقللاً من الأكل حتى ساءت صحته، ولقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع شيبته لا يستنكف من تلقي دروس الحساب والخط مع صغار التلاميذ في مدرسة الأستاذ إبراهيم حلواني في مكة المكرمة .

لم يرجع الشيخ إلى أسرته في عنيزة وكان قد غاب عنهم أربع سنوات بل سافر إلى جازان عن طريق البحر وكان ذلك في العشرين من صفر عام ١٣٥٨هـ، وحين وصوله نزل عند رجل يقال له زامل السليم يتاجر بالجمال ونقل الحبوب فأخذ الشيخ منه بضاعة وتوجه إلى صامطة ونزل بالمحكمة الشرعية والقاضي آنذاك الشيخ عبد الرحمن المحيميد وضع الشيخ متاعه وكتبه وخرج متوجها إلى (سوق الإثنين) بصامطة، واتجه غرباً نحو الساحل ليستكشف القرى، وأحوال

الناس، ثم قصد أمير صامطة سند الحماد، فوجد القاضي عنده، فأكرموا الشيخ وحسبوه قاضيًا فأخبرهم بأنه تاجر ويريد دكانًا فكان له ما أراد، وصار هذا الدكان بداية الدعوة السلفية .

بدأ الشيخ يدرس مرتاديه أصول التوحيد وعلومَ الكتاب والسنة، واستأذن القاضي بأن يرسل إليه طلابه، الذين كانوا اللبنة الأولى للدعوة، وانتقل بهم بعد ذلك إلى جامع الراحة وذاعت أخباره، وبدأ الطلبة يقصدونه من القرى .

والجهل داء قاتل وشفاؤه أمران في التركيب متفقان
نص من القرآن أو من سنة وطبيب ذاك العالم الرباني

❊❊❊

إخراج الشيخ إلى الجزيرة

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾[1]. وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيءٌ يواريه إبط بلال**»[2].

في جامع صامطة ألقى الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد صلاة الجمعة موعظة بليغة، بيّن حقيقة التوحيد، وجناية الشرك وأنواعه، وخطورة السحرة وإتيانهم، وبعد هذه الخطبة قام بعضهم بإيذائه والتضييق عليه!

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

كان أمير جازان آنذاك خالد السديري، وقد علم بالأمر، فأشار على الشيخ أن يخرج إلى جزيرة (فرسان)، فخرج من حينه، فلما وصلها فتح بها مدرسة وبدأ بالدعوة والإصلاح .

إن يأخذ السقم من جسمي مآخذه ... فإن قلبي بحمد الله مرتبط

وأصبح القوم من أمري على خطر ... بالصبر والشكر والتسليم للقدر

حزن طلبة العلم لخروج الشيخ، فقام أحد تلاميذه الأوفياء، وهو الشيخ ناصر خلوفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكتابة رسالة إلى أمير المنطقة، يناشده عودة الشيخ، وبين في رسالته حاجة المنطقة إليه، فاستجاب الأمير وأذن له بالعودة .

---

(١) [سورة محمد: آية ٣١].

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٨) وابن ماجه (٤٠٢٣) وصححه الألباني.

وجـرّبـنـا وجـــرّب أولـونـا فـمـا شـيء أعـز مـن الـوفـاء

أسس الشيخ المدرسة بدار تلميذه بصامطة كونه مقعداً ثم عاد إلى عنيزة ومكث بها شهرين عند أهله، وفي غرة محرم عام ١٣٥٩هـ، عاد إلى جازان بعد أن حمل معه الكثير من كتب العقيدة والأحكام ليؤسس هناك أول مكتبة علمية .

❊❊❊

جدول الدراسة على الشيخ

لما كثر الوافدون من الطلاب، رأى الشيخ أن يخصص أوقاتًا للمتقدمين وأخرى للمبتدئين، وأوقاتا يذهب فيها للقرى المجاورة للقيام بأمر الحسبة، ودعوة الناس في القرى والأرياف، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مواظبًا على دروسه اليومية، ويبدأ التدريس من بعد صلاة الفجر، إلى أذان صلاة العشاء، معلمًا أغلب الفنون، يتخلل ذلك أوقات الصلوات والطعام، فإذا جاء عصر الخميس اختار الشيخ نخبة من كبار طلابه فذهب بهم إلى القرى المجاورة للتوعية والإرشاد ولا يعودون إلى أهليهم إلا صباح السبت وهكذا كان دأبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

بعيد المدى داني الندى واكف الجَدا لـه كـرم ثـاو ومـجـد مـسـافـر

ومن ثمرات هذه الجولات المتتابعة: إزالة الأضرحة الشركية ونضرب مثلا لجهاده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا المجال: أنه اتجه يومًا مع طلابه غربا إلى الساحل، وفي طريقهم مروا على قرية بها قبر مشيد يقصده العوام، وفي داخله أوعية للماء، وتوقد عليه السرج ليلاً يقال له (المريديه)، فخرج إليه الشيخ مع طلابه فسوّوه بالأرض، وقد حدثني بذلك بعض طلابه الذين شاركوا في هدمه .

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يهدف إلى القضاء على الشرك، والخرافة، بكل أشكالها، فحين يتأهل طلابه للتدريس يوزعهم على القرى، فيفتح في كل قرية مدرسة، ويبني بها مسجدا إن لم يكن ثم مسجد، ويعين فيها مدرسًا وإماما لهم في صلاتهم، ويطلب من زعيم القبيلة أن يوفر للمعلم طعامه ومسكنه، ولا يكتفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذلك بل يتابع أحوالهم بدقة وعناية .

ومن حرصه رَحِمَهُ ٱللَّهُ على النفع العام، أنه يخرج بطلابه إلى أماكن الناس، في مواسم العشب، والحبوب، فيدعونهم إلى الله، فكانت النتيجة أن قُضِيَ على الشرك والبدع في وقت قصير والحمد لله .

اللقاء الأول بين الشيخ عبد الله وتلميذه حافظ الحكمي[1]:

في عام ١٣٥٩هـ عرض على الشيخ قضاء بعض المدن فرفض لمتابعته شؤون الدعوة، مع ما أصابه من مرض الملاريا وكانت وباء منتشراً حينها، وصارت تجولاته أكثرَ من إقامته وكان يأخذ معه دواء الملاريا يوزعه على المصابين، وكان من أبرز طلابه بعد ذلك الشيخ حافظ الحكمي وقصة لقاءهما الأول أن حافظاً كان يرعى الغنم لوالديه مع أخيه محمد في قرية تسمى الجاضع وسمعا بقدوم الشيخ فذهب الأخير ليستعير منه بعض رسائل التوحيد بخطاب دبجه حافظ قال في أوله:

إن الـذي رقـم الـكـتـاب بكفه ... يـهـدي الـسـلام إلـى الـذي يـقـراه
وعـلـى الـذي يـقـراه ألـف تحية ... مـخـتـومـة بـالـمـسـك حـيـن يـراه

قرأه الشيخ وأعجب به وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذو فراسة في اكتشاف المواهب، فقدم إليهم في قريتهم يوم الخميس ١١/ ٨/ ١٣٥٩هـ، وكان اللقاء الأول وعمر حافظ آنذاك سبع عشرة سنة، وفي اليوم التالي وبعد أن صلى الشيخ عبد الله بالناس الجمعة، أعلن عن افتتاح مدرسة القرية وطلب الشيخ من والدي حافظ أن يفرغاه للعلم ويتكفل هو بأجرة رعي الغنم فلم يقبلا .

---

(١) هو العلامة صاحب المؤلفات النافعة توفي بسبب ضربة شمس في حج عام ١٣٧٧هـ وعمره ٣٥ سنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقد كنت أعلم حافظًا وإخوانه، وألقي عليهم الدرس جميعًا، فكان حافظ يحفظ الدرس من مرة واحدة، أما إخوانه فكنت أكرر عليهم المرة والثانية والثالثة، ثم دخلت سنة ١٣٦٠هـ، وفيها تفرغ الأخ حافظ لطلب العلم بإذن أبويه، وطلب مني أهل صامطة أن أترك التجول؛ لأتفرغ للتدريس، فوافقتهم على ذلك.[١]

تهون خطانا للمحب فلو مشى إليكم فؤادي كان أبرد للشوق

في نهاية عام ١٣٦٠هـ توفي والدا الشيخ حافظ بعد عودتهما من الحج، وحرص الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يفرغ تلميذه لطلب العلم؛ فأسكنه معه في صامطة قرابة ثلاث سنوات لازمه فيها ملازمة تامة .

اتسعت مدرسة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذاع صيتها داخل المملكة وخارجها؛ فقدم إليها طلاب من الداخل: من بلاد عسير، وقحطان، وشهران، وبلاد غامد، وزهران، وبلقرن، وغيرها، ومن الخارج جاؤوا من: اليمن، والحبشة، والصومال، واهتم الشيخ بهم لا سيّما الغرباءُ والفقراء، وهيأ لهم السكن والغذاء، واتفق مع أصحاب الآبار لإيصال الماء إليهم .

هي شدة يأتي الرخاء عقيبها وأسىً يبشر بالسرور العاجل

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: "الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»[٢].

---

(١) الرسالة القرعاوية ص ١٩١.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٨) وصححه الألباني .

ونحسب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ممن أخلص في اتّباعه فما أن أورقت أغصان دعوته حتى أجلب عليه أعداؤها ليقوضوها، فاتهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالسحر والكَهانة كما اتهم رسول الهدى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وصلت الأخبارُ إلى الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: لا بد أن يقتل!! فقال ولي عهده الأمير سعود: يا والدي هذا رجل من نجد، ولم نعرف أن بينهم سحرة. فأرسل الملك عبد العزيز عام ١٣٦٠هـ لجنة برئاسة الشيخ فيصل آل مبارك قاضي الجوف، والشيخ محمد البيز قاضي الطائف؛ ليتحققوا الأمر، وصلت اللجنة إلى صامطة؛ فأعجبت بما رأت من نشر العلم والتوحيد، وعلموا من حال الشيخ بأنه رائد إصلاح، وليس بمفسد في الأرض، ورفعت تقريرها على أحسن ما أنت قارئ، فأمر الملك بمكافأة مالية قدرها عشرون ريالاً لكل طالب في مدارس الشيخ، وبعد ذلك أصبح الشيخ عبد الله أثيرا لدى الملك عبد العزيز ويراسله بأمور الدعوة .

وليل كسا الآفاق ثوب ظلامه وآلى يمينًا في الإقامة يمكث
ثويت وقلبي فيه للهم حلفه أكابده والحتف بالنفس يعبث
أقول لنفسي لا تراعي واصبري سيدركه نور الصباح فيحنث

استمرت عجلة الإصلاح تجتاح القرى الجنوبية ببناء المساجد والمدارس وانتشار طلاب الشيخ للدعوة في كل مكان .

وما ثناك كلام الناس عن كرم ومن يسدّ طريق العارض الهطل

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي عام ١٣٦١هـ، تأخر خريف تهامة؛ فأوجب الحال انتقال أهل تهامة لاتباع مساقط الأمطار وكان لانتقال الطلبة مع أهليهم، أثر عظيم من

حيث بثٌّ للدعوة فيما ينتقلون إليه من البلاد، فوقع لذلك خير عظيم في تلك الجهات؛ فكان بعضهم يفتح مدرسة، ويعلم فيها، وبعضهم يبني مسجداً، ويؤذن فيه، ويدعو الناس للصلاة، وصاروا يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويطاردون المشعوذين الذين يدجلون على العوام.[1]

ففي كل قطر من شعاعك جذوة تبدد بالنور المشع الدياجيا

وفي عام ١٣٦٣ هـ أرسل ولي العهد الأمير سعود إعانة كبيرة للشيخ وطلابه وجعلها عادة سنوية، واستمر الشيخ في الدعوة وبناء المساجد والمدارس في القرى الجنوبية وفي تلك السنة أشار على تلميذه حافظ الحكمي أن ينظم في الفقه والآداب وكانت غالب منظومات الشيخ حافظ بمشورة شيخه رحم الله الجميع.

❊❊❊

(١) الرسالة القرعاوية ص ١٩٢.

اللجنة وجهود الدعوة

وفي عام ١٣٦٥هـ أرسلت لجنة أخرى برئاسة الشيخ صالح بن عبد الحميد آل الشيخ لمتابعة المدارس وتقييم الدعوة وجهود الشيخ عبد الله، وكان تقريرها ثناءً عاطراً على الشيخ وجهوده فأكرمهم الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأمر للهيئة بجائزة كبيرة، وأمر أن يقرر للمعلمين والتلاميذ رواتب شهرية .

وفي عام ١٣٦٦هـ اتجه الشيخ إلى عسير يبني قواعد الدعوة والعلم، وبعد أن اطمأن على سير مدارسه، سافر إلى مكة حاجًا والتقى بالملك عبد العزيز هناك .

استمر الحال في المدارس، وأدائها لمهماتها، وقيام الشيخ بالإشراف عليها، وفتح مدارس في المناطق المحتاجة في الأعوام اللاحقة من ١٣٦٨هـ حتى ١٣٧٢هـ، وفي عام ١٣٧١هـ قام ولي العهد ببناء جامع صامطة فأرسل إليه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشكره ويدعو له وكان هذا دأبه مع ولاة الأمر .

وفي عام ١٣٧٢هـ جاءته رسالة من ولي العهد الأمير سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، جاء فيها:

وصل إلينا كتابكم، وفهمنا مضمونه، ولا عندنا أي شك في بذلكم الجهد في الدعوة والإرشاد، وتعليم الحق، ونشر العلم في تلك الجهات التي طالما اعتكرت فيها ظلمات الجهل والضلال .

وفي عام ١٣٧٣هـ صدر أمر من المقام السامي بتعيين الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ معتمداً للمدارس التابعة لوزارة المعارف بمنطقة جازان، ثم أنشأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ معهد صامطة العلمي عام ١٣٧٤هـ وفي شهر صفر من هذا العام وصل الملك سعود إلى منطقة جازان، وزار معهد صامطة العلمي، وألقى الشيخ حافظ الحكمي قصيدته

الترحيبية الرائعة بين يديه، وهي طويلة منها :

أهلاً ففي ظلك الممدود والرحب ومرحبـًا من بني بر بخير أب
كفيت من تعب عوفيت من نصب وقيت من وصب وافيت في خصب
وأشرق المعهد العلمي مزدهراً وحق ذاك له بالعاهل العربي
بالعاهل العربي ابن العاهل العربي ابن العاهل العربي ابن العاهل العربي
الباعث المجد في أنحاء أمته والوارث المجد من آبائه النجب
طابت أصول فطاب الفرع ثم علت به المعالي معاني ما عليه ربي
إقامة الوحي والإيمان نشرهما وسنة المصطفى البيضاء لم تشب

وكان لتلك الزيارة بالغ الأثر، وعظيم النفع على طلبة العلم، والمشايخِ، والأهالي بصفة عامة .

في عام ١٣٧٥هـ تأسست مدارسُ الشيخِ باليمن، وانتشرت انتشاراً واسعـًا، بينها خمس مدارس نسائية، وقام طلابه في تلك الجهات بواجب الدعوة إلى الله، وجابوا القرى والأرياف، كما كان شيخهم يفعل، فحصل من ذلك خير كثير، وهدموا قبابـًا ومشاهد كثيرة، وطردوا المشعوذين، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرسل لهم الدعم المادي والمعنوي، وما اقتصر أمر الدعوة على الرجال بل قام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتعليم البنات وتأسيس المدارس لهنّ منذ عام ١٣٦٨هـ فعم النفع وأخرج الله العباد من ديجور الظلم، إلى نور الحق، ومن كدر الساقية إلى معين الوحي الصافي.

كالبدر من حيث التفت رأيته يُهدي إلى عينيك نوراً ثاقبـًا
كالبحر يقذف للقريب جواهراً جوداً ويبعث للبعيد سحائبـًا
كالشمس في كبد السماء وضوءها يغشى البلاد مشارقـًا ومغاربا

ولا زال رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتابع مسيرته الإصلاحية، ويشرف على مدارسه السلفية التي جازت الحدود، وفي عام ١٣٧٦هـ، وبأمر من الملك سعود أسس الشيخ المدارس في نجران، وبعث الطلاب في تلك الجهات للدعوة إلى الله، وانتشر التعليم في جميع مناطق الجنوب بصفة عامة .

وفي حج عام ١٣٧٧هـ توفي الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فخشي الشيخ على المعهد وطلاب العلم بعد وفاة ساعده الأيمن في الدعوة والتدريس فتجهز مع مجموعة من طلاب المعهد، وزار الرياض .

وكان بين طلابه الشاعر الأديب ابراهيم الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي حدثني بخبر تلك الرحلة المليئة بالأحداث ولقائهم بالملك فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ واجتماعهم بكبار العلماء وكان الموقف المؤثر لما كانوا عند سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم حين بدأ الطلاب بإلقاء كلماتهم وكانت من بينها مرثية الشعبي في الشيخ حافظ منها :

توارى حافظ نور البلاد ... وخلّف حسرة ليَ في الفؤاد
لقد ضاقت عليّ الأرض ذرعًا ... بما رحبت ولم تسع البوادي
أنا ممن فضيلته أنالت ... وممن درّبت تلك الأيادي

فرغ الطلاب من كلماتهم ثم قال الشيخ عبد الله: يا شيخ محمد أما عن كلمتي فأنا قد أحضرتهم بين يديك، والحال يعلمها الله! و بكى رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبكى شيخه وضجّ المجلس بالبكاء!

لعل انحدار الدمع يعقب راحة ... من الوجد أو يشفي نجيّ البلابل

قال الشيخ محمد بن ابراهيم: لستم من فقد حافظاً فحسب، بل نحن فقدناه أيضاً، وتفقده الأمة الإسلامية، يقول هذا وهو يبكي ثم قال: أبشروا بالخير لن ينقص عليكم شيء بل سيزيد، فصدق وبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

وفي عام ١٣٧٧هـ صدر الأمر السامي بتنسيق المدارس السلفية ثم رأت الحكومة أن المصلحة هي ضم مدارس الشيخ إلى وزارة المعارف من أجل توحيد التعليم وكان ذلك عام ١٣٧٩هـ بعدها تفرغ الشيخ لبناء المساجد وحفر الآبار على حسابه الخاص داعماً للدعوة ومن ساندها:

وَفي الجسْمِ نَفسٌ لا تَشيبُ بشَيْبِهِ وَلَـوْ أنّ مَـا في الـوَجْـهِ منهُ خـرَابُ

❊❊❊

القصص والأخبار

في حياة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكثير من المواقف و القصص، والمشاريع والرسائل، ينبغي لمن أراد السير في طريق الدعوة أن يقف على فصولها، وينهل من معينها وخبرتها، لقد صار هلال الدعوة بدراً زين سماء الجنوب بأبهى حلة:

إن ابتداء العرف مجد باسق والمجد كل المجد في استتمامه
هذا الهلال يروق أبصار الورى حسناً وليس كحسنه لتمامه

❊❊❊

الغلاف المنزوع

قصة الغلاف المنزوع وقد نقلها الشيخ محمد المجذوب في كتابه علماء ومفكرون وملخصها أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدثه لما كان في الهند عن عالم لا يبدأ درسه إلا بسب الشيخ محمد بن عبد الوهاب والتحذير منه ومن دعوته يقول الشيخ عبد الله:

ولم يكن معقولاً أن أواجه الرجل بأي اعتراض على فكرة يمتلئ صدره وصدر سامعيه إيمانًا بها، لذلك عمدت إلى الحيلة، فأخذت كتاب التوحيد للإمام، ونزعت عنه غلافه الذي يحمل اسمه، ثم تركته على المنضدة دون أن يعلمَ مصدره، وشاء الله أن يقرأ الشيخ الكتاب، ويستوعبه بدقة فراح يبدي إعجابه به، ويسأل عن مؤلفه حينئذ أعلنت له الواقع، فما كان من الرجل إلا أن قال: لقد ظلمنا هذا المصلح كثيراً، ولا نجد كفارة لما أسلفنا إلا أن ندعوَ له بمقدار ما دعونا عليه[1].

لا يدرك المجد إلا سيّد فطن لما يشق على السادات فعال

❊❊❊

(١) علماء ومفكرون ١/ ١٠٨. وهذه القصة ثابتة عن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من طريق آخر، فقد حدثني المسند الهندي عبد الوكيل الهاشمي قال: حدثنا العلامة البسْتوي أن الشيخ عبد الله القرعاوي حدثه بها.

جباة الزكاة

ومن القصص التي تدل على حكمته :حين كان مسافراً لمكة عام ١٣٥٧هـ، وقبل الطائف بقليل مر بقرية مسوّرة، وأمامها رهط من الرجال، فسألهم عن حالهم فقالوا: نحن جباة الزكاة، أرسلنا الملك عبد العزيز لجمعها، ولكن أهل هذه القرية منعونا! فقال لرئيس الجباة؟: الرأي أن تأمر رجالك بجمع حطب عظيم، يفرق حول القرية على مراحل، وفي سكون الليل، مُرْهم أن يشعلوها، ففعلوا ذلك، فكان المنظر مهيباً لمن يراه من بعيد، عندها طلب الشيخ أن يرسلوا لأهل القرية رجلاً هيئته التجارة، وأخبره بالحيلة التي تنهي المشكلة، ذهب الرجل ففتحوا له وكان على رأسهم شيخ القبيلة فسألوه: ما تلك النيران؟ قال: هذا جيش الملك عبد العزيز يريد أن يصبّحكم، ألستم منعتم الزكاة؟ فقالوا: ما المخرج ؟! قال: إن أعطيتموني زكاتكم فسآخذها إليهم، ولن يحدث ما تحذرون، فخرج يسوق زكاة أموالهم، ونجحت الحيلة وأمرهم الشيخ بالرحيل فوراً .

❊❊❊

في قلب العاصفة

ومن حرصه على التوحيد وتعليمه ما حصل له حين ركب البحر من جازان متجهاً إلى جدة، وفي عرض البحر هبت رياح شديدة عصفت بالسفينة، حتى أوشكت على الغرق، وفي خضم العاصفة كان من الركاب من يستغيث بغير الله، فقال لهم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اتقوا الله إنكم لن تجدوا قط أرحم بكم منه سبحانه ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[1] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2] وبدأ الشيخ بتقرير التوحيد والتحذير من الشرك وهم في عين العاصفة وقد مكثوا في البحر خمسة عشر يوماً.

❊❊❊

(١) [سورة النمل: آية ٦٢].

(٢) [سورة غافر: آية ٦٠].

اغتيال

وهناك أكثر من قصة كاد أن يقتل فيها الشيخ منها: لما كان يسافر بين القرى والهجر الجنوبية؛ لنشر العلم والدعوة راكباً على حماره يصحبه صهره محمد عثمان، اتفق جماعة من أعداء الدعوة على قتله أثناء تجواله، فأرسلوا امرأةً فقطعت بطان دابته ليسقط؛ ويباغتوه، فطن رَحِمَهُ ٱللَّهُ للمكيدة؛ فقفز عن دابته، فهجم عليه قائد المتربصين بسيفه لكن الشيخ أسقطه وأخذ بتلابيبه، فقام صهره محمد بربط البطان، وأخذ الشيخ بعيداً، فتبعوه وقالوا: يا محمد! خلِّ بيننا وبين هذا الغريب الذي أتانا من نجد، فغيّر عاداتنا وتقاليدنا نقتله، ولن يطالب أحد بدمه! فقال لهم:

والله لن تصلوا إليه حتى تقتلوني دونه ... فتركوه وذهبوا!

ولما علم شيخ القبيلة بجناية هؤلاء رفع أمرهم إلى أمير صامطة، فقام بسجنهم، وتأديبهم، فما كان من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا أن ذهب إلى الأمير مسرعاً يناشده إطلاق سراحهم فوراً، فاستجاب له ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤﴾[1] فماذا كانت النتيجة؟ أصبح هذا القائد بعد ذلك رئيس المهندسين في مدارس الشيخ .

ذمت سماحته الدنيا إليه فما ... يمسي ويصبح إلا وهو ممدوح
كأنه لاجتماع الروح فيه له ... من كل جارحة في جسمه روح

(١) [سورة فصلت: آية ٣٤].

أراد قتله ولكن

ومنها أيضا: ما حصل في سنة مجدبة حين أتى أحد المحتالين ليقترض من الشيخ ويشكو فقره ومرضه، فأعطاه صدقة لا قرضا إحساناً منه كعادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبعدها بسنوات خرج الشيخ على حماره؛ يتفقد حال الدعوة في بعض القرى، ومن قدر الله أن تكون منها قرية هذا الرجل، وكان بيته في أولها، فلما علم بقدوم الشيخ خاف، وقال: جاء ليطلبني ماله وليس عندي شيء، فجهز سلاحه لقتل الشيخ وكمن له خلف الباب، فطلعت عليه زوجه وحالت بينه وبين مراده، وقالت له: دعني أستقبله وسأخبره بحالنا! ولم يلبثا إلا والشيخ يطرق عليهم الباب وهو لا يعرفهم، فتحت له المرأة فطلب منها شربة ماء فسقته ثم بدأت تشكو الفقر والإعسار ففاجأها الشيخ بأن أعطاها من ماله وأحسن إليها فلما علم زوجها، بكى تأثرا بتلك الأخلاق العالية، ولم يزل يضحي عن الشيخ برا به وحبا له .

❋❋❋

المعهد يغلق أبوابه

ومن المناسب هنا أن نذكر قصة غضب فيها للعلم وأهله فذات مرة أُغلقت أبواب المعهد بحجة تأخر الطلاب وكانوا يأتون من القرى البعيدة على دوابهم، حدثني الشيخ ناصر قحل وفقه الله يقول: فكنا نربط الدواب بجوار المعهد ولم يفتح لنا، وكان عددنا قريبا من المائة، ولم يرعنا إلا والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يركض متجهاً إلينا يقول بلهجة نجدية: وراكم واقفين يا أولادي؟ فأخبرناه، عندها أمر إدارة المعهد أن تفتح الباب، ثم قال للإداريين في المعهد، وللمشايخ وكان مغضباً: اللهُ تعالى أكرم طالب العلم، وأنتم تهينونه! كيف ترضون أن توقفوا طلبة العلم بين الحمير! ولم يقفل الباب بعد ذلك .

❋❋❋

جنيه الذهب

قال عبد العزيز القرعاوي: حدثنا الشيخ طاهر طالبي وهو من طلاب المدارس السلفية التي أسسها الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجنوب يقول: جاءنا الشيخ عبد الله وافتتح مدرسة في قريتنا (الركوبة)، وعيّن فيها معلماً، وتكفل بكل ما تحتاجه المدرسة من مؤن، وجاء الطلبة يدرسون، وكنت أرعى الغنم لأهلي، ولدي رغبة شديدة في طلب العلم، ولكن كنت أخشى والدي الذي كان شيخاً للقرية؛ ففكرت بحيلة أتخلص فيها من الرعي وأطلب العلم؛ فاستأجرت راعياً، ثم انطلقت أتعلم في المدرسة، دون أن يعلم بي أحد، وظللت فترة، حتى كُشف أمري، ورآني والدي في المدرسة؛ فوبخني بشدة، ومن قوله لي: أنت تريد أن تضيعنا وتضيع حلالنا! فقلت: لست الوحيد، أنا مثل فلان وفلان، وبدأت أذكر له بعض زملائي في المدرسة، فما كان منه إلا أن جمع رجال القرية، وقام فيهم خطيباً يقول: من الآن ممنوع أن يذهب أبناؤكم إلى المدرسة؛ فحلالنا وأموالنا ستضيع بسبب مدارس القرعاوي، ورجع الطلاب لرعي الأغنام وتركوا الدراسة، فحزنت لذلك وعزمت أن أخبر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما حصل؛ فتحينت الفرصة، وذهبت إلى صامطة، وأخبرت الشيخ بما كان من والدي، وبما آل إليه أمر المدرسة فقال لي: ارجع لرعي الغنم، وسأزور قريتكم بإذن الله، رجعت للقرية، وأنا أعد الليالي والأيام؛ أنتظر قدومه، حتى جاءنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ والناس تستعد لصلاة المغرب، وعند الإقامة قدّم الشيخ عبد الله والدي ليصلي بالناس، فامتنع، فأصر عليه قائلاً: أريد أن أسمع صوتك، فصلّى، وبعد الصلاة بدأ الشيخ يثني عليه،

وعلى قراءته الجميلة، ووالدي لا تكاد تحمله الأرض من الفرح والغبطة، بعدها خرجوا من المسجد وهما يتحدثان فقال له الشيخ: يا أبا طاهر نحن من زمن قديم قد عيّناك مشرفاً على المدارس في هذه الجهة، ولم يتيسر لي القدوم لقريتكم حتى أعطيك مستحقاتك من الرواتب، وها أنا قد وصلت فخذ، فأعطى والدي جنيه ذهب، بعدها سافر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبقي والدي مذهولاً، يرى الجنيه، ثم يضعه في جيبه، ثم يناظره مرة أخرى، ويرجعه، وهو في غاية العجب! وقد كان الجنيه الذهبي يساوي أربعين ريالاً _ مبلغ ضخم في ذلك الوقت _ وفي اليوم التالي جمع والدي رجال القرية، وأولياء الأمور، وقام فيهم خطيباً، يقول: أنا المشرف على مدارس القرعاوي في هذه الجهة، فعلى الجميع أن يذهبوا بأولادهم إلى المدرسة؛ ليتعلموا؛ ويتفقهوا في دين الله، فقالوا له: وماذا نصنع بغنمنا، وحلالنا؟ فقال: من يرعى بالأجرة كُثر، وأجرتهم قليلة، ولو ملء كفك شعير، أو ذرة، وأهم من الغنم والرعي، انتشار العلم، ورفع الجهل عن أبنائنا، وقريتنا، وسأكون حاضراً وإياكم أن يتخلف أبناؤكم . وهذا ما حصل إذ بدأ الطلاب يتوافدون، ويتعلمون، وبعدها سافرت لصامطة، وأخبرت الشيخ بالعاقبة الحميدة، ودعوت له كثيرا .

ذاك الجواد وإن قل الجواد له ... ذاك الشجاع وإن لم يرض أقرانا
خف الزمان على أطراف أنمله ... حتى تُوُهمّن للأزمان أزمانا

❊❊❊

ومن يؤت الحكمة

كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يهتم بدعوة زعماء القبائل، والأعيان، فالناس غالبًا تبع لهم، وهذا أسلوب نبويّ في الدعوة إلى الله، حيث يأتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى رئيس القبيلة ويقول: بلغنا عنك كذا وكذا من الأمور الطيبة، ونريدك أن تكون مراقبًا للمدارس أو مؤذنًا أو نحو ذلك وبذا يكسب قلوبهم، وينقلهم من أعداء للدعوة إلى مؤيدين لها، زار رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد رؤساء القبائل المناوئين للدعوة في بيته، فأثنى عليه الشيخ وأجلّه ثم قال: أأنت رئيس القبيلة فلان؟ قال: نعم . فقال: أنت الذي يثني عليك الناس، ويذكرونك بالخير والجميل، ونحن والله لا نريد إلا أمثالك ؛حتى ينصروا الخير والدعوة والعلم، وعيّنه الشيخ مؤذنًا مع علمه أنه لا يصلي، ولكن ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[1] وصلح حال هذا الرجل بعد ذلك، واستقام دينه، وأصبح إمام قومه، ومثل هذا الرجل الكثير ممن هداهم الله بدعوة الشيخ وحسن أسلوبه .

❋❋❋

(١) [سورة البقرة: آية ٢٦٩].

طريق فيفا الوعر

في عام ١٣٦٢هـ رحل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على حماره إلى فيفا لنشر العلم والدعوة، وكان طريقها وعراً ولا تصله الدواب إلا بشق الأنفس؛ فأخذ الشيخ حماره، وجعله أمامه، يدفعه ليسير في هذه المرتفعات الخطرة حتى وصل، واتجه إلى زعيم قبيلة فيفا، وقال له: أليس عندكم طريق معبد؟ قال: نعم ولا ندري ما الحيلة!! فقال الشيخ: ادع لي رؤساء القبائل عندكم، فلما دعاهم طلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كل زعيم أن يأتي بجماعته، ويزيلوا الحجارة التي في هذا الطريق بالقسمة بينهم حتى وصلوا إلى الأرض المستوية المعبدة، وبعد هذا الإنجاز أصبحت دوابهم ومواشيهم تطلع بسهولة وتحمل أغراضهم وحاجياتهم[1].

❋❋❋

(١) وقد نظم احتفال في فيفا بحضور أمير منطقة جازان محمد بن ناصر بن عبد العزيز آل سعود ودعي عميد الأسرة الشيخ محمد القرعاوي وقاموا بتكريمه، وذكروا أن أول من افتتح خط فيفا هو الشيخ عبد الله القرعاوي .

فقه الإنكار

ومن فقهه الدعوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ التدرج في إنكار المنكر فهو لا يقدم على التوحيد شيء ويدفع أعلى المفسدتين بأدناهما، ومن سياسته الدعوية أن ينزل عند رئيس القبيلة، ويختلط بالناس بعد ذلك، ويزاول شيئًا من التجارة، وقصده التعرف على الناس وطباعهم.

وكان يرى المخالفات فلا ينكر ابتداءً، ويتخول الناس بالموعظة لئلا يملوا، وهذا من هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال «**وإنِّي أتَخَوَّلُكُمْ بالمَوْعِظَةِ، كما كانَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنا بها، مَخافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنا**»[1] ويعمد إلى رؤساء القبائل فيعيّنهم مؤذنين ويتألفهم بالمال ليأمنهم وليحوزهم في صفه وربما استعصت الدعوة في بعض القرى فصاهر الشيخ أعيانها فيسهل نشر الخير بعد ذلك والحمد لله.

ولم يسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الأذى فمرة قام إليه بعض الجهلة فرموه على أشجار الشوك وآذوه، فينسحب بلا مقاومة إلى جهة أخرى يدعو فيها إلى الله، صابراً محتسباً، وقد سطّر ذلك درساً للدعاة والمصلحين بقوله في إحدى رسائله يقول:

وقد قابلت هذه التشويشات كلها بالانسحاب، فأغلق تلك المدرسة، وأفتحها في محل آخر، أو أتوجه بنفسي إلى جهة أخرى، أفتح فيها التعليم، وكنت أتقلب في الجهات أنا وتلاميذي من جنوب تهامة جازان إلى شماليّها، ومن غربيّها إلى

(١) رواه البخاري (٧٠) ومسلم (٢٨٢١).

شرقيّها ،كل ذلك أطلب الرفق والهدوء ونشر العلم والإصلاح والدعوة والدعاية أبتغي بذلك وجه الله .

كـــرم تـبـيـن في كـلامـك مـاثـلاً ويبين عتق الخيل في أصواتها

❊❊❊

عدد غير متوقع

حدثني الشيخ محمد عبده يقول: قدم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أحد أسفاره فدعاه أمير صامطة ليكرمه بوليمة؛ فاستجاب الشيخ وقال له: سآتي بطلابي؛ فرحب الأمير وظن أن المسألة يسيرة، وأن الطلبة عددهم قليل، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقدم طلابه على نفسه، ويكرمهم، ويراعي حالهم، وجوعهم، وكنا وقتها لا نعرف الأرز، إنما نأكل الذرة في الغالب فجاء الشيخ إلى قصر الأمير على الموعد ومعه ٣٠٠ من طلابه فكان يوم حافل ووليمة لا تنسى .

للجود بـاب في الأنـام ولـم تزل يـمـنـاك مـفـتـاحـًا لـلـذاك الـبـاب

❊❊❊

الصبر على تعليم الناس

وأرسل إليّ الشيخ محمد العريفي وفقه الله بقصة وقف عليها يقول: كنت في زيارة إلى جازان، قابلت أحد كبار السن ممن أدركوا الشيخ عبد الله القرعاوي أسهب في الحديث عن الشيخ وأخلاقه، وذكائه، وحكمته، وصبره، وأناته، وشدني عندما قال: وكان الشيخ يتصيد الفرص لنصح الناس وتعليمهم ودعوتهم .. قلت: كيف؟

قال: مر يوماً ببئر يزدحم عليها رعاة الغنم للسقيا، وكانوا في آخر النهار يأتون على دوابهم (الحمير) ويوقف كل منهم دابته في الصف ليستقوا، وعند البئر رجل يعتني بسوق هذه الدواب وملء القرب بالماء، ثم يصرخ بأصحابها ليأخذوها ويضعوا في يده ما تيسر، كان الرعاة يقفون جانباً يتحدثون، قفزت فكرة دعوية تعليمية إلى رأس الشيخ المبارك، جاء من الغد معه بساط صغير، وكيس فيه تمر وصحن! فرش البساط، ووضع الصحن وأفرغ التمر فيه، ثم أخذ ينادي الرعاة واحداً واحداً: تعال كل تمراً واحفظ سورة الفاتحة، فيأتي الراعي العامي يجلس بين يديه فيتلقاه بالبشر والبشاشة. ويمد إليه التمر ويلقنه الفاتحة .. والراعي يأكل التمر ويردد وراء الشيخ، وربما كان الراعي كبير السن، أو غليظ الطبع، أو بطيء الفهم، والشيخ لا يزيده التعب إلا حماساً، يقعد في الحر الشديد، في درجة حرارة ربما جاوزت الستين، والرطوبة الشديدة التي يكره الجالس فيها ثيابه، ويضيق بنفسه، يجلس مع هؤلاء الضعفاء الجهلة، متحملاً الروائح المؤذية المحيطة به من روث الدواب، وكثرة الغبار، والأتربة، ونهيق الحمير، قدم هذا المجلس

الشاق المتعب . . على جلسة آخر النهار مع زوجة حبيبة . . وولد بار . . وفاكهة وخضرة . آهـ

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

ومن النوادر ما حدثّني به أخي عبد الشكور القرعاوي قائلاً: كنت في زيارة إلى القصيم، وذهبت إلى الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجامع الكبير بعنيزة لأستفتيَه، وعرف أني ابنٌ للشيخ عبد الله القرعاوي فأخذ بيدي وقال: يا بنّي، هل تعلم أن والدك هو من علمنّي الوضوء! .

فانظر إلى حرص المعلّم على النشء وانظر إلى تواضع التلميذ الذي علّم الأمة، رحمهما الله .

لوْ كانَ يقعُدُ فوْقَ الشّمسِ من كَرمٍ قَوْمٌ لأَوّلُهُمْ يَوْمًا إذا قَعَدُوا
لَوْ يُعْدَلُونَ بوَزْنٍ أوْ مُكايَلَةٍ مالُوا برَضْوَى وَلم يُعدَلْ بهمْ أحَدُ

❊❊❊

بين الشيخ وأخته

ومن عظيم إجلاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأخته الكبرى ما حدثني به الشيخ محمد القرعاوي حفظه الله يقول: لم يكن لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ غير شقيقته الكبرى، وما رأيت براً وإحساناً وشفقةً مثل ما كان بينهما، فإذا قدم من سفر، وكان سفره يطول، احتضن أخته، وبكيا طويلاً، وكان يعدّها بعد وفاة أمه أماً له، ولا يناديها إلا يا (أمي) وهي أيضاً لا تناديه إلا يا (يا والدي)، وفي موسم الحج تأتي السيارات الكبيرة (اللواري) تأخذ الحجاج، و بها سلم؛ لتصعد النساء إلى السيارة، فكان والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرفض أن تصعد أخته إلا على أكتافه؛ فينحني لها؛ فتصعد! وقد لا يصنع البعض هذا البر مع أمه! فرحم الله الشيخ وأخته .

❊❊❊

اقتراحاته ورسائله

أما عن اقتراحات الشيخ ومراسلاته فهي عجيبة فريدة وسأعرض رؤوس أقلام ما أثبته في كتاب المسيرة فبالنسبة للرسائل العلمية فلم أجد فيما وقفت عليه إلا رسالة تحدث فيها الشيخ منكراً على من يخاطب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باسمه المجرد والردَّ على ذلك من أوجه كثيرة، ولأن الشيخ كان منهمكًا في شؤون الدعوة وإدارتها فهذا يفسر ندرة مؤلفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ فاشتغل رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتأليف الدعاة والعلماء عن تأليف الكتب كما حدثني بذلك ابنه الشيخ محمد[1].

أما مشاريعه واقتراحاته فكثيرة جداً فمن ذلك:

مشروع قدمه إلى الملك سعود بعنوان: مشروع إنشاء الألف مدينة ومشروع تطوير مدينة الرياض ما يعرف الآن بـ(الملز) ومشروع إنشاء الجامعة الحديثة للعلوم الشرعية والتقنية وشفعه بتصميم رسمه للجامعة ومرافقها. وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مهتمًا بالطب وتدريسه وكتب في ذلك كثيراً وكان يطالب بتدريسه في المعاهد العلمية، أما المسجد الحرام والمشاعر المقدسة واقتراحات تطويرهما فتكاد تغلب على مخطوطات الشيخ لكثرتها.

ولم تغب رسائله عن هموم الأمة، وأبرزها قضية فلسطين فكتب إلى المسؤولين بشأنها طالبًا نصرة المستضعفين من المؤمنين هناك، وكذلك شفاعته لحجاج الهند وباكستان عام ١٣٧٣هـ الذين دخلوا المملكة من الجنوب ثم أوقفوا لمخالفتهم الأنظمة فكتب إلى الملك سعود في شأنهم فيُسّرت أمورهم.

---

(١) حققت للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مخطوطة وطُبعت في كتاب المسيرة وكان عن توقير النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وشملت رسائله حرصه على إنشاء وإصلاح الطرق بين القرى الجنوبية وتمهيدها وكذلك رسائله في بناء المساجد وتعيين القضاة والأئمة وحرصه على تعليم الجيش والشفاعة في حوائج الناس .

فرضت علي زكاة ما ملكت يدي وزكـاة جاهي أن أُعـين وأشفعا

ولا أنسى تلك المخطوطةَ التي تحدث فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ من منظور سياسي عن الحرب الباردة بين روسيا وأمريكا وأثر الحركات الشيوعية والرأسمالية في العالم. ناهيك عن مراسلاته الدائمة لطلابه ووصاياه لهم في نشر التوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد أثبت جملة منها في كتاب المسيرة وكذلك مراسلاته مع ولاة الأمر وكبار العلماء كشيخه محمد بن ابراهيم والشيخ عبد اللطيف بن ابراهيم والشيخ عبد العزيز بن باز وغيرهم نسأل الله أن ييسر إخراجها .

❊❊❊

الرحيل إلى الدار الآخرة

بعد أن أرسى الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعائم الدعوة والعلم في بلاد الجنوب عاد إلى الرياض متفرغا لأعمال البر والعبادة وذلك عام ١٣٨٧هـ وأرهقته الشيخوخة وفقد بصره وأقعده المرض عام ١٣٨٩هـ.

وأمر الملك فيصل بعلاجه خارج المملكة ولكن الهيئة الطبية في مستشفى الشميسي بالرياض قررت أن لا فائدة من ذلك.

ومكث رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعاني حتى توفي في المستشفى يوم الثلاثاء الثامن من جمادى الأولى عام ١٣٨٩هـ عن أربعة وسبعين عاماً قضاها في الدعوة والجهاد، وصُلي عليه في الجامع الكبير بعد صلاة المغرب، ودفن في مقبرة العود، وأمر الملك فيصل بالصلاة عليه صلاة الغائب في الحرمين الشريفين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأسكنه فسيح جناته، وجزاه خير الجزاء لما قدم لدينه وأمته.

وقد أوصى رَحِمَهُ ٱللَّهُ بثلث ماله للمشاريع الخيرية، والدعوية، وترك من الذرية أحد عشر ولدا واثنتي عشرة بنتاً نسأل الله أن يبارك فيهم، وفي ذريّاتهم، وأن يرحم والدهم رحمة واسعة . . . آمين

ثـوى طـود هـنـا وانـثـلّ ركـن ... وحـلـت مـحـنـة وخـبـا ضـيـاء
وأضـحـى ملجأ الملهوف قفراً ... ولا قـطـب تـدور بـه الـرحـاء
ونـقـص الأرض بـالـعـلـمـاء حـقٌّ ... ومـن أطـرافـهـا يـأتـي الـبـلاء

إذا بكت العيون لكل خطب على العلماء فليكن البكاء
وإن طفقت لسان الشعر ترثي فللعلماء فليكن الرثاء

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

❊❊❊

الفهرس

- مقدمة ٥
- مولده ونشأته ١٥
- صفاته وأخلاقه ١٧
- رحلاته التجارية ١٨
- رحلاته العلمية ١٩
- دكّان الدعوة السلفية ٢٢
- إخراج الشيخ إلى الجزيرة ٢٤
- جدول الدراسة على الشيخ ٢٦
- اللجنة وجهود الدعوة ٣١
- القصص والأخبار ٣٥
- الغلاف المنزوع ٣٦
- جباة الزكاة ٣٧
- في قلب العاصفة ٣٨
- اغتيال ٣٩
- أراد قتله ولكن ٤٠
- المعهد يغلق أبوابه ٤١
- جنيه الذهب ٤٢
- ومن يؤت الحكمة ٤٤

■ طريق فيفا الوعر ٤٥
■ فقه الإنكار ٤٦
■ عدد غير متوقع ٤٨
■ الصبر على تعليم الناس ٤٩
■ بين الشيخ وأخته ٥١
■ اقتراحاته ورسائله ٥٢
■ الرحيل إلى الدار الآخرة ٥٤
■ الفهرس ٥٦

❊❊❊

التصميم الداخلي للكتاب
Tharwat Sultan
للتواصل :
00201019530152
TharwatSultan@yahoo.com